Route Educational & Social Science Journal
Volume 5(10) August 2018

Artical History

Received/ Geliş	Accepted/ Kabul	Available Online/yayınlanma
1/7/2018	23/7/2018	1/8/2018

التكامل المعرفي لفلاسفة المسلمين ودوره في الحضارة الإسلامية " ابن سينا أنموذجا "

أ.د. بدر الدين زواقة
أستاذ دائم جامعة باتنة الجزائر
أستاذ مشارك جامعة أم القرى

الباحث. سليمان بوشيبان
باحث دكتوراه
جامعة باتنة / الجزائر

الملخص

يهدف البحث الى بيان العلاقة التلازمية بين التكامل المعرفي في الذات العالمة وضرورته من اجل التطور والبناء الحضاري، وتكمن أهمية موضوعه ليس في التركيز على ضرورة التكامل المعرفي بين العلوم فحسب، بل أيضا ضرورة وجود هذا التكامل في الذات العالمة والباحثة، مع سبل الوصول الى ذلك من مراجعة مناهج وأليات البناء الحضاري.

فقد كان التكامل المعرفي سمة للمنتوج الحضاري الإسلامي لقرون عدة، ولما انحصرت وأخذت الحضارة الغربية زمام التفوق وبنظام معرفي مغاير للنظام المعرفي الإسلامي، انتهجت طرقا جديدة في البحث والمعرفة، وبرزت مناهج وفلسفات أظهر ما يوصف بها هو النظرة التجزيئية والتحليلية، كان لها أثر خطير على كل العلوم، إذا أدت الى تباعدها التخصصي، وظهرت بذلك كثير من العيوب على مستوى المعرفي والتطبيقي.

فالجمع بين العلوم ضرورة واقعية ومطلب أساس في كل حضارة، وهي التي تُبنى بإسهامات علماء وفلاسفة من أظهر ميزاتهم أنهم مبدعون في كثير من العلوم، مع مواهب تجعل أعمالهم متميزة.

ومن ذلك طُرح في البحث الاشكالي التالي: هل الإبداعات في المعارف والعلوم يُشترط فيها التكامل فحسب، إذ يكفي وجودها وتوزعها وتنوعها على مختلف العلماء وتخصصاتهم، فيكون عملهم كفريق معرفي واحد، أما أن التكامل لا بد أن يكون ذاتيا بتوفر مجموعة من المواهب والتخصصات في الذات العالمة والباحثة.

اتبع هذا البحث المنهج التاريخي في تتبع ظاهرة التكامل المعرفي في فلاسفة وعلماء الحضارة الإسلامية، مع أخذ ابن سينا أنموذجا منهم للدراسة، واتباع المنهج التحليلي لدراسة هذا الانموذج، ومع المنهج الاستنباطي توصل البحث الى نتائج من أهمها: أن التكامل المعرفي ضروري وشرط أساس في الذات العالمة والباحثة من أجل الوصول الى النبوغ الذي يُمكِّن من الإبداع والاختراع الذي يساهم في البناء الحضاري للأمة.

تكمن أهمية البحث في التنبيه على ضرورة مراجعة مناهج وأليات البناء الحضاري وسبل ذلك، ويهدف البحث الى بيان العلاقة التلازمية بين التكامل المعرفي في الذات العالمة وضرورته من اجل التطور والبناء الحضاري.

الكلمات المفتاحية:التكامل المعرفي، ابن سينا، فلاسفة المسلمين، الحضارة الإسلامية.

Abstract

The purpose of this research is to explain the correlation between the cognitive integration of the philosopher and his necessity for the development and the civilizational structure. The importance of the subject is not only to focus on the need for cognitive integration between science but also for the integration of the

philosopher and researcher in science, From reviewing the curricula and mechanisms of civilizational building.
The integration of knowledge has been a feature of the Islamic cultural product for many centuries, and when Western civilization took the reins of superiority and a cognitive system that is different from the Islamic system of knowledge, it adopted new ways of research and knowledge, and emerged philosophies and philosophies that were characterized by a view of abstract and analytical outlook. Which led to their specialized divergence, and thus showed many defects on the level of knowledge and application.
The combination of science is a real necessity and a basic requirement in every civilization, which is built with the contributions of scientists and philosophers. One of their most famous features is that they are innovators in many sciences, with talents that make their work distinct.
The question is whether innovation in knowledge and science requires integration only. Its existence, distribution and diversity is sufficient for the various scientists and their specialties, so their work is as one knowledge group. Or is integration to be self-sufficient with a range of talents and disciplines in the philosopher and researcher?
This research followed the historical approach in tracking the phenomenon of cognitive integration in the philosophers and scientists of Islamic civilization, taking Ibn Sina model of them to study, and follow the analytical approach to study this model, and with the deductive approach, the research reached the results of the most important: that cognitive integration is necessary and a prerequisite in the philosopher and researcher , In order to reach the nobility, which is the basis of creativity and invention, which contributes to the cultural construction of the nation.
key words: Integration of knowledge, Ibn Sina, Avicenna, Muslim philosophers, Islamic civilization.

المقدمة

تحتاج كل حضارة الى مستويات ضرورية من المعرفة المتنوعة تشمل كل نواحي الحياة التي يهتم بها الفكر والفعل البشري، ولا شك أن ذلك يحتاج الى جهود متنوعة من العلماء، ومواهب وابداعات في شتى التخصصات والميادين، تكوِّن آلية (ميكانيزم) متناغمة تحرك الفعل الحضاري، ذلك لأن البناء الحضاري مزيج من العلوم والمعارف والفنون، وكذا ثقافات وعادات وتقاليد، وهي التي تحدد نوعه وسماته وألوانه المميزة لأي حضارة عن أخرى، وقد ظهر في كل حضارة وتميز جمهرة من أعلام مبدعين يُنسب إليهم الفضل في التحولات الكبرى والنظريات العلمية والفلسفية والفنية، ساهمت بقوة في انبعاث حضاري، وهم الذين يُطلق عليهم بالمجددين، ومن أظهر مميزاتهم أنهم موسوعيين في معارفهم إذ يجمعون عددا من التخصصات وبإبداع متميز، ففي الحضارة الإسلامية نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر: محمد بن ادريس الشافعي (150-204هـ)، الخوارزمي (164-232 هـ)، ابن الهيثم (354-430 هـ) ، ابن سينا (370-427 هـ)، الادريسي (493-560 هـ)، محمد بن جابر البتاني (240-317 هـ)، ابن رشد (520-595 هـ)، ابن خلدون (732-808 هـ)، وغيرهم، وهذه الظاهرة؛ وهي الموسوعية العلمية أو ظاهرة التكامل المعرفي سابقة أيضا في الحضارة اليونانية، وصورها كثيرة مثل: افلاطون (427 - 347 ق.م)، ارسطو (384 - 322 ق.م)، ارخميدس

(212-187 ق.م)، طاليس (624-546 ق.م)، وغيرهم، كما نجد ذلك في الحضارة الغربية الحديثة، مثل: امانوال كانط(1724. 1804م)، ليوناردو دافينشي (1452. 1519م)، كوبرنيكوس(1473. 1543م)، ديكارت(1596. 1650م).

ولكن من القرن الثامن عشر الميلادي ومع اتساع العلوم وتجزئها الى تخصصات فرعية ظهرت عيوب في البحوث والممارسة العلمية مما انعكس على واقع الحياة البشرية بسلبيات لا يستطاع تداركها إلا باستدعاء علوم وتخصصات مختلفة لإزالة مجموعة من الإشكالات، فزراعة القلب كان يُنظر إليها أنها مجرد فعل طبي هدفه تقديم خدمة لمن يعانون عجزا في عضلة القلب، ولكن الواقع اثبت أن ذلك له آثار عصبية ونفسية واجتماعية، فضلا عن الدينية والاعتقادية.

وقد ظهر أيضا تباين بين العلوم التطبيقية والعلوم الإنسانية، وهو ما أشار اليه اللورد البريطاني "س. ب. سنو" في كتابه الشهير "الثقافتان: The Two Cultures" منبها على أن العلوم في الغرب قد انقسمت الى فئتين: العلوم والانسانيات، مما أوجد كثيرا من المشاكل وعائقا في حلها، وقد دعا الى ضرورة التكامل بين الثقافتين.

إن هذه الدعوة سواء من "س. ب. سنو" أو من غيره، هي نتيجة حتمية ينتبه إليها المفكرون والعلماء من أجل الحفاظ على المكتسبات الحضارية وتحصينها من الاندثار، كما دعا الى ذلك علماء الحضارة الإسلامية ونبهوا على هذه الانزلاقات المعرفية التي عاقبتها وخيمة على المسار الحضاري للأمة، فقد نبه من قبل ابن رشد على الخلل الحاصل في الفصل والتفريق بين الشريعة والحكمة (الفلسفة)، ودعا أن يكون العالم بالشرع عارفا بالحكمة، والعكس كذلك، كما نبه كثيرون الى ضرورة الجمع بين الحقيقة والشريعة، وفي ذلك قال الإمام مالك رحمه الله تعالى: "من تصوَّف ولم يتفقه، فقد تزندق، ومن تفقه ولم يتصوف، فقد تفسّق، ومن جمع بينهما فقد تحقق".

فالجمع بين العلوم ضرورة واقعية ومطلب أساس في كل حضارة، وهي التي تُبنى بإسهامات علماء وفلاسفة من أظهر ميزاتهم إبداعهم في كثير من العلوم، مع مواهب تجعل أعمالهم متميزة.

فهل هذه الإبداعات في المعارف والعلوم يُشترط فيها التكامل فحسب، إذ يكفي وجودها وتوزعها وتنوعها على مختلف العلماء وتخصصاتهم، فيكون عملهم كفريق معرفي واحد، أما أن التكامل لا بد أن يكون ذاتيا بتوفر مجموعة من المواهب والتخصصات في الذات العالمة والباحثة.

تحديد مصطلح التكامل المعرفي

دلالات " التكامل المعرفي" ومفاهيمه متعددة، كما تعددت سياقات استعماله، بين الكتابات التراثية والكتابات المعاصرة، الى مفوهين:

المفهوم الأول: تكامل العلوم مع تنوعها فيما بينها، سواء العقلية أو النقلية؛ وهو قديم في التراث الإسلامي بمصطلح "جماع العلم" كما هو عند الشافعي في كتابه (جماع العلم)، الذي يثبت فيه التكامل بين القران والسنة، إذ السنة شارحة للقران الكريم ولا غنى لدارس القران عنها، وأن احكام الشريعة تؤخذ من مصدرين متكاملين وهما القران والسنة، وهما أيضا مصدرا واحدا باعتبار انهما وحي، كما أكد الشافعي في كتابه "الأم" على الاخذ بالقياس كطريق عقلي تعرف به

الاحكام وتستنبط من القران والسنة، فالنظر والعمل العقلي مكمل لما جاء في الوحي، ولا غنى لأحدهما عن الاخر. وبالتالي تتضح الصورة التكاملية بين العقل والنقل وبالأحرى تكامل العلوم العقلية والنقلية.

وفي نفس السياق برهن ابن رشد أنه لا تعارض بين العقل والنقل، بل هما متكاملان، ودعا الى ضرورة الجمع بين الحكمة والشريعة، وهو ما أجلاه في كتابه . على الخصوص . "فصل المقال"، فلا غنى لأحدهما عن الاخر. فقد أوضح أن الفلسفة ليس شيئاً أكثر من النظر في الموجودات، واعتبارها من جهة دلالتها على الصانع، وقد دعا الشرع في أكثر من آية في القران إلى اعتبار الموجودات بالعقل وتطلب معرفتها به، وهذا هو القياس، وإذا تقرر أنه يجب بالشرع النظر، في القياس العقلي وأنواعه، وجب ايضا النظر في القياس الفقهي، فالنظر العقلي في القياس هو نفس النظر في القياس الفقهي [1].

وفي نفس المفهوم يأتي تأكيد ابن تيمية على التكامل؛ ودرء التعارض بين صحيح المنقول وصريح المعقول في كتابه "درء تعارض العقل والنقل"، وجمع القشيري وغيره من المتصوفة بين "الطريقة والحقيقة" في رسالته الشهيرة "الرسالة القشيرية".

ان مفهوم التكامل هذا هو المشهور في التراث الإسلامي والذي تكلم عنه ونبه عليه جمهرة من العلماء والحكماء، أما المفهوم الثاني الاتي ذكره هو الذي ندر الكلام عنه أو التأكيد عليه.

المفهوم الثاني: والمراد به: " الموسوعية والإلمام بعلوم متعددة في مقابل الاقتصار على التخصص الدقيق" [2]، وذلك بأن يكون العالم او الحكيم ذا مواهب متعددة يجمع في تكوينه المعرفي بين عدة علوم، وله من كل فن طرف، ويكون ابداعه وتفوقه في أكثرها، دون الاقتصار على علم معين.

وهذا المفهوم قديم حديث، قديم من حيث تحققه وانتشاره بين العلماء والحكماء ليس فقط في الحضارة الإسلامية، وإنما أيضا في الحضارات الأخرى، ولكن لم يشتهر الحديث عنه أو التنبيه عليه بقدر المفهوم الأول للتكامل المعرفي، ربما لأنه قريب من البداهة فلا يحتاج الى بيانه، وإنما تكفي الإشارة اليه.

أما كونه حديث فهو من حيث اعادته طرحه والاهتمام به والتركيز عليه في زمن التخصص الدقيق وانشطار العلوم، في عصرنا الحديث، فقد اتسعت المعارف والعلوم، وباتساعها كان الاضطرار الى تقسيمها الى علوم أدق، وهو سمة عصر الحداثة، كما ظهرت سلبيات عديدة في ذلك، فقد أدى التخصص الدقيق الى تباعد العلوم من حيث التطبيقات، فالمشكلات الاجتماعية مثلا لها جوانب متعددة، اقتصادية واجتماعية وقانونية، وأخلاقية، وسياسية.. الخ، ولا يمكن الوصول فيها إلى نتائج معنية بالاعتماد فقط على علم أو تخصص معين بمفرده، إذ يجب أن ينظر الى المجتمع بنظرة كلية شاملة ومتكاملة من كل العلوم والتخصصات، وهي نفس النظرة بالنسبة للإنسان، فعلله كثيرة منها النفسية، والعصبية، والبيولوجية، والفسيولوجية.. وحتى في العضوية تجزأت التخصصات الى امراض القلب، والامراض الباطنية، والمسالك

[1] فصل المقال، ابن رشد أبو الوليد، دار المعارف، الطبعة: الثانية، ص22-25.

[2] فتحي حسن ملكاوي، منهجية التكامل المعرفي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، و.م.أ، الطبعة الثانية 1437 هـ/ 2016م، ص291.

البولية، والجلدية، والغدد.. وغيرها، وقسمت العلوم الطبية على حسب هذه التخصصات فضاع الانسان بتجزئة كيانه، وفصل أعضائه عن بعضها البعض، وكأنه آلة مركبة من قطع... كما أصبح المختص في عضو لا علاقة له بالأعضاء الأخرى وربما طور علاجا لعضو كان سببا في اختلال توازن الأعضاء الأخرى فيقف محتارا، فيضطر عندئذ الى استدعاء بقية المختصين للعمل كفريق واحد لحل الاشكال.. والسبب واضح هو نقص المعارف الكافية من أجل تكاملها في الفرد الواحد لحل الاشكال، بل لعدم الوقوع في الاشكال أصلا نظرا لتعدد المعارف والعلوم في الشخص الواحد.

لقد انتبه المختصون والأساتذة في الجامعات الى مفارقة التخصصات والتكوين العلمي المجزأ والناقص للناشئين من الطلبة، فبدأوا بطرح هذا الانشغال وظهر في تساؤلات مؤتمرات عقدت من أجل النظر في سلبيات التخصصات وضرورة التكامل المعرفي، منها الملتقى دولي حول موضوع :"التكامل المعرفي ودوره في تمكين التعليم الجامعي من الإسهام في جهود النهوض الحضاري في العالم الإسلامي"، يومي 14-15 أبريل 2010، كلية الطب بتلمسان . الجزائر.

فقد قد طُرح السؤال من طرف المحاضرين كالآتي :كيف نصل إلى توجيه نحو تكامل معرفي للطالب الجامعي؟ وتمت الإجابة في سياق التجارب اليومية للأستاذ الكامنة في ردود الأفعال التي يتلقاها من طرف طلبته، آخذين في ذلك بعين الاعتبار ثلاثة مرتكزات هي: المرتكز العقدي، المرتكز الأخلاقي والمرتكز التشريعي مع كيفية تفعيلها في هذا المجال، ولقد تم في مجمل المداخلات الاعتراف والاستشهاد بالنظام التعليمي القديم "الأصيل" الذي كان يجمع بين مختلف العلوم، عكس ما لوحظ اليوم من انتشار لـ "ظاهرة التخصص الدقيق والتجزئة في العلوم" والتي كانت حسب بعض المتدخلين عائقا أمام ما أسموه بالتكامل المعرفي. إن هاته الظاهرة وليدة السياق الغربي، وقد أدّت إلى انشطار التخصصات جراء النقل والتقليد للعلوم والمناهج من الجامعات الغربية، ما انجر عنه انزلاقات عن التعليم الديني وعن الدراسات الإسلامية [3].

إن المعنى الذي نريده من مصطلح "التكامل المعرفي" هو: الموسوعية والإلمام بعلوم متعددة في مقابل الاقتصار على التخصص الواحد أو الدقيق.

اطراد التكامل المعرفي في علماء الحضارة الاسلامية

لقد كانت سمة التكامل المعرفي والإلمام بمختلف علوم العصر ظاهرةً في أكثر العلماء السابقين لا في الحضارة الإسلامية فحسب بل أيضا في الحضارات السابقة ؛ كاليونانية والحضارات الشرقية، ولكن في العصور المتأخرة التي غلبت عليها الحضارة الغربية الحديثة بمناهجها ونظامها المعرفي المختلف شجعت على التخصص وتجزئة العلوم، فالعالم الذي يوثق

[3] من أشغال الملتقى الدولي حول :"التكامل المعرفي ودوره في تمكين التعليم الجامعي من الإسهام في جهود النهوض الحضاري في العالم الإسلامي"، يومي 14-15 أبريل 2010، كلية الطب بتلمسان ـ الجزائر.

بعلمه هو المتخصص في علم من العلوم، بل في فرع من فروعه وجزئية من جزئياته، حتى أصبح هذا المفهوم مسلما، وخلافه خاطئا، وانتشرت عبارة : لقد ذهب عصر الموسوعية، أو أنه لا يمكن ذلك مع تطور العلوم.

إن كبرياء الحضارة الغربية الحديثة هو الذي أنتج لها هذا المفهوم لتصف نفسها بتميزها وانفرادها وتفوقها على كل الحضارات، وأن ما وصلت إليه من العلوم لو أمضى فيه الانسان كل عمره ما استطاع أن يلم به...

إن الحضارة الغربية الحديثة عمرها صغير إذا ما قورنت بالحضارات السابقة، التي منها الحضارة الإسلامية، والتي كان يُعرف علماؤها بالموسوعية والاحاطة بكل علوم العصر، ورغم أن كثيرا من العلماء برزوا في علوم معينة ومحددة وابدعوا فيها، إلا أن ذلك لا يدل على قصورهم في العلوم الأخرى، وإنما ظهرت فقط أكثر إبداعاتهم ومؤلفاتهم ونظرياتهم في علوم محدد فقط، والجدير بالذكر أن ما وصلوا إليه من ابداع وتطوير واكتشافات ونظريات، إنما هو بسبب احاطتهم بعلوم عصرهم كلها في نفس الوقت؛ الذي كون لهم تكاملا معرفيا وعلميا في ذواتهم، مكنهم من قوة الابداع والاختراع.

ومن أمثلة هؤلاء العلماء الذين اتصفوا بالموسوعية العلمية وشمولية المعارف: محمد بن ادريس الشافعي (150-204هـ)، الخوارزمي (164-232 هـ)، ابن الهيثم (354-430 هـ) ، ابن سينا (370-427 هـ)، الادريسي (493-560 هـ)، محمد بن جابر البتاني (240-317 هـ)، ابن رشد (520-595 هـ)، ابن خلدون (808-732 هـ)، وغيرهم كثير [4]، وسوف نركز على أنموذج رائد في ذلك هو الشيخ الرئيس أبو الحسين علي بن سينا.

مواهب ابن سينا المعرفية.

أَبُو عَلِيّ الْحُسَيْن بن عبد الله بن عَلِيّ بن سينا أشهر من أَن يذكر وفضائله أظهر من أَن تسطر، الذي ولد بأفشنة إحدى قرى بخارى سنة 375هـ، وتوفي سنة 428هـ بأصبهان [5].

اجتمع في ابن سينا من المواهب والعلوم ما جعله في درجة متقدمة بين العلماء البارزين، الذين لهم اسهامات جليلة في الحضارة الإسلامية وتطوير العلوم.

فلقد اطلع على علوم عصره وبلغ فيها شأوا كبيرا في الفلسفة، والطب والفلك، والتصوف، والموسيقى...

وكانت له قدرة كبيرة على الالمام بالعلوم في وقت وجيز وبفهم دقيق ونظر حاذق، ساعده في ذلك القدرات او المواهب الشخصية مع الشغف المعرفي وعدم التمييز بين العلوم، وهذا عامل أساس في الوصول الى الحد الأدنى من التكامل المعرفي الذاتي أو الموسوعية العلمية.

يقول ابن سينا على نفسه في تحصيله لأكثر العلوم والمعارف في سن مبكرة:".. كان أَبِي تولَّى التَّصرُّف بقريَةٍ كَبِيْرَةٍ، ثُمَّ نزل بُخَارَى، فَقَرَأْت القُرْآنَ وَكَثِيْراً مِنَ الأَدب وَلِي عشرٌ".

[4] في كتاب: الجامعون بين العلوم الشرعية والعلوم التجريبي، لكل من:عواد الخلف، وقاسم علي سعي، اوردا فيه 1066 ترجمة لنماذج علماء جمعوا تكاملا تخصصيا بين العلوم الشرعية والعلوم التجريبية.

[5] ابن أبي أصيبعة، عيون الانباء في طبقات الأطباء، ج1، ص438.

ثُمَّ ذكرَ مبَادئَ اشتغَالِهِ، وَقُوَّةَ فَهْمِهِ، وَأَنَّهُ أَحكم المَنْطِقَ وَكِتَاب إِقليدس إِلَى أَنْ قَالَ: وَرغبتُ فِي الطِّبِّ، وَبَرَّزْتُ فِيْهِ، وَقرأُوا عليَّ، وأَنَا مَعَ ذَلِكَ أَختلِفُ إِلَى الفِقْه، وَأُنَاظِرُ وَلِي سِتَّ عَشْرَةَ سَنَةً.

ثُمَّ قَرَأْتُ جَمِيعَ أَجزَاءِ الفَلْسَفَةِ، وَكُنْتُ كلَمَّا أَتَحَيَّرُ فِي مَسْأَلَةٍ، أَوْ لَمْ أَظْفَرَ بِالحدِّ الأَوسطِ فِي قيَاسٍ، ترددتُ إِلَى الجَامع، وَصَلَّيْتُ، وَابتهَلْتُ إِلَى مبدعِ الكُلِّ حَتَّى فُتِحَ لِي المنغلِقُ مِنْهُ، وَكُنْتُ أَسهَرُ، فمهمَا غَلَبَنِي النَّومُ، شربْتُ قَدَحاً..

إِلَى أَنْ قَالَ: حَتَّى اسْتحكم مَعِي جَمِيْعُ الْعُلُوم، وَقَرَأْتُ كِتَاب (مَا بَعْد الطّبيعَة)، فَأَشكل عليَّ حَتَّى أَعدتُ قرَاءتَه أَرْبَعِيْنَ مرَّةً، فَحَفِظتُهُ وَلاَ أَفهمُه، فَأَيسْتُ، ثُمَّ وَقَعَ لِي مُجَلَّدٌ لأَبِي نَصْرٍ الفَارَابِيّ فِي أَغرَاض كِتَاب (مَا بَعْد الحِكْمَة الطّبيعيَّة، ففتحَ عليّ أَغرَاض الكُتُب، فَفَرحتُ، وَتَصَدَّقْتُ بِشَيْءٍ كَثِيْر.

واتَّفَقَ لسُلْطَان بُخَارَى نوح مرضٌ صعبٌ، فَأُحْضِرتُ مَعَ الأَطباء، وَشَارَكتُهُم فِي مُدَاوَاتِه، فسأَلتُ إِذْناً فِي نظرِ خزَانَةِ كُتُبِه، فَدَخَلتُ فَإِذَا كُتُبٌ لاَ تُحصَى فِي كُلِّ فَنّ، فَظفرتُ بفَوائِدَ ... إِلَى أَنْ قَالَ: فَلَمَّا بلغتُ ثَمَانِيَةَ عشرَ عَاماً، فَرَغْتُ مِنْ هَذِهِ العُلُوم كُلِّهَا، وَكُنْتُ إِذْ ذَاكَ للعلمِ أَحفَظُ، وَلَكِنَّهُ مَعِي اليَوْمَ أَنضَجُ، وَإِلاَّ فَالعِلْمُ وَاحِدٌ لَمْ يتجدَّد لِي شَيْءٌ" [6].

احاطته بعلوم عصره

قال الشيخ الرئيس عن نفسه:" وكلما كنت أتحير فِي مَسْأَلَة ... ترددت إِلَى الْجَامِع وَصليت وابتهلت إِلَى مبدع الْكل حَتَّى فتح لي المنغلق وتيسر المتعسر.

وَكنت أرجع بِاللَّيْلِ إِلَى دَاري وَاضع السراج بَين يَدي واشتغل بِالْقِرَاءَةِ وَالْكِتَابَة

فمهما غلبني النّوم أَو شَعرت بِضعْف عدلت إِلَى شرب قدح من الشَّرَاب ريثما تعود إِلَيّ قوتي ثمَّ أرجع إِلَى الْقِرَاءَة، وَمهما أَخَذَنِي أدنى نوم أحلم بِتِلْكَ الْمسَائِل بِأَعْيَانِهَا حَتَّى أَن كثيرا من الْمسَائِل اتَّضَح لي وجوهها فِي الْمَنَام. وَكَذَلِكَ حَتَّى استحكم معي جَمِيع الْعُلُوم ووقفت عَلَيْهَا بِحَسب الْإِمْكَان الإنساني.. فَلَمَّا بلغت ثَمَانِي عشرَة سنة من عمري فرغت من هَذِه الْعُلُوم كلهَا" [7].

العلوم التي صنف فيها:

بلغت مصنفات ابن سينا أزيد من مئتي مؤلفا بين مدونات كبرى ورسائل صغيرة ومراسلات في مختلف العلوم

. في الطب:

القانون في الطب: "ولا تقتصر عظمة كتاب القانون على ما فيه من معلومات طبية، بل إن علماء النفس المتعمقين يستطيعون أن يجدوا فيه دراسات نفسية سباقة سواء في علم النفس الفيزيولوجي، أو علم نفس النمو، أو في التحليل والعلاج النفسي، فضلاً عن أنه بلا شك أقدم كتاب فتح باب الطب النفسي الجسدي"8.

[6] شمس الدين الذهبي: سير أعلام النبلاء، تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، 1405 هـ / 1985 م، ج17، ص531-532.

[7] ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: الدكتور نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، ص437-439.

[8] محمود عبد اللطيف، الفكر التربوي عند ابن سينا، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب . وزرة الثقافة .، دمشق، 2009، ص35.

الرسالة الألواحية: وهي في ترتيب الادوية المفردة.

دفع المضار الكلية عن الابدان الإنسانية.

الرسالة الامينية في فصد العروق.

. في الفلسفة:

كتاب الشفاء: من أضخم مصنفاته في ثمانية عشر مجلدا، ولخصه في ثلاث مجلدات أسماه: النجاة.

الإشارات والتنبيهات: وهو أجود ما صنف في الحكمة، وقد تولى شرحه من بعده كثيرون أمثال الطوسي نصير الدين، وفخر الدين الرازي، وابن طفيل.

. وفي التربية: رسالة السياسة الذي بدأ فيه كيف يسوس المرء نفسه وابنه وختم بسياسة السيد للخدم.

في الشعر: ديوان ابن سينا الذي اخرجه حسين علي محفوظ في مطبعة الحيدري بطهران سنة 1957.

في الرصد وهيئة الأرض والفلك:

كتاب الأرصاد الكلية.

مقالة في هيئة الأرض من السماء وكونها وسطاً.

مقالة في الأجرام السماوية.

مقالة في كيفية الرصد ومطابقته للطبيعيات.

مقالة في إبطال أحكام النجوم.

في الرياضيات:

رسالة إلى أبي سهل المسيحي في الزاوية.

مقالة في عكوس ذوات الجهات.

مقالة في اللانهاية.

في الادب واللغة والموسيقى

كتاب الملح في النحو

رسالة الطير.

رسالة حي بن يقظان (قصة)

قصة أسال وسلاما.

"وقد كان القصد من هذه القصص تقريب المعاني الفلسفية من أذهان الناس، فهي في حد ذاتها أسلوب من أساليب التربية ذات هدف شريف يرتفع بالإنسان إلى السعي حتى يعرف الله، وهي على عكس ما نشره "فرويد" في علم النفس الحديث من الأخذ بالأساطير اليونانية التي تعبر عن انحطاط الإنسان وخضوعه الأعمى للعشق والشهوات".[9]

لسان العرب.

المدخل إلى صناعة الموسيقى، وهو غير الموضوع في النجاة.

"ويقول ابن أبي أصيبعة إنه قد اطلع على شيء من كتاب " لسان العرب" فوجد فيه كلاماً عجيباً، ولسوء الحظ لم يصل إلينا شيء منه، ويؤكد ابن أبي أصيبعة أن كتاب المدخل إلى صناعة الموسيقى هو غير ما كتبه عن الموسيقى في كتاب النجاة، ولم يصل إلينا أيضا" .[10]

ك- الأخلاق والزهد

رسالة في العشق.

كتاب البر والإثم صنفه للفقيه البرقي في الأخلاق.

مقالة في تحصيل السعادة.

مقالة في القضاء والقدر.

مقالة في الأخلاق.

الرسالة الأضحوية في المعاد.

عشر قصائد وأشعار في الزهد.

رسالة إلى أبي سعيد بن أبي الخير الصوفي.

كتاب المعاد صنفه بالري للملك مجد الدولة.

"هذه لمحة خاطفة عن مؤلفات ابن سينا، تبين لنا منها أمور أهمها:

سعة الأفق وتعدد الاختصاصات وهو وليد نزعة الشمول والتكامل التي عرف بها العلماء والفلاسفة المسلمون في دراساتهم.

الموقف النقدي بالنسبة إلى الثقافات الأصيلة الذي يبدأ من حسن فهمها وإخراج الكتب في شرحها، ثم ينتهي ببيان نواقصها وتدارك أخطائها.

[9] محمود عبد اللطيف، الفكر التربوي عند ابن سينا، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب . وزرة الثقافة .، دمشق، 2009، ص38.

[10] محمود عبد اللطيف، الفكر التربوي عند ابن سينا، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب . وزرة الثقافة .، دمشق، 2009، ص40.

التمسك بالعقيدة الإسلامية في القضايا الواضحة ومحاولة انتقاء ما يناسبها من الاراء الدخيلة أو معارضتها بما يبرز الرأي الإسلامي"[11].

اثار التكامل المعرفي في فلسفة وأعمال ابن سينا.

1.. تجسيد القدرة على التوفيق بين العقل والنقل:

فكان يعالج المسائل العقلية بالنقلية، كما يعالج المسائل النقلية بالعقلية ويزاوج بينهما، ويَظهر ذلك جليا في كلامه عن النفس، والبعث، وهل هو بالجسد والروح أم بالروح فقط، وقد عالج ذلك في كتابه "المبدأ والمعاد"، بل خص لهذه المسألة كتابا منفردا أسماه بـ " الأضحوية"، وفي رسالته "أحوال النفس" وهي رسالة في النفس وبقائها ومعادها، اثبت بالنصوص الشرعية والحكمة العقلية أن النفس جوهر مغاير للبدن وهي الروح، كما اثبت بالدليل العقلي أن البعث يكون للروح فقط وهي خالدة، أما الجسد فهو فان، وأعطى للنصوص الشرعية التي تتكلم عن السعادة أو الشقاء الاخرويين بعدا تأويليا، فلم يلغ المنهج النقلي وانما جعله موافقا للعقلي بهذه البراعة التأويلية.

كما تناول موضوع الألوهية والوحدانية والخلق والنبوة وغيرها من مسائل الاعتقاد، والتي خاض فيها الفلاسفة الالهيون من قبله، ورغم أنه يغلب عليه المنهج العقلي في استدلالاته . وهو طبع الفلاسفة . إلا أنه لا يغفل ولا يهمل الاستدلال والاشارة الى النصوص الشرعية.

في كتابه "الشفاء" يتناول ابن سينا فكرة الوجود، ويقود تحقيقه في قضية كل الأشياء إلى التأمل في طبيعة الله. ومن هذه المناقشة الدقيقة، طوّر ابن سينا نظرية "السببية الإلهية" تجمع الأفكار الأفلاطونية والأرسطية والإسلامية. وفي هذا إطار المنهجي، وضع ابن سينا بعض الأفكار الأساسية لفلسفته الدينية والسياسية، حيث ناقش الصفات الإلهية، والعناية الإلهية، والآخرة، والمدينة "الفاضلة" المثالية مع النبي الفيلسوف كصلة إنسانية بين الأرض السماء.

إن قدرة ابن سينا على التوفيق بين الدين والتجربة والنظر العقلي هي التي أعلته بين العلماء وجعلت له مكانة وتأثيرا منقطع النظير في الحضارة الإسلامية، وقد اتبع منهجه جمهرة من علماء المسلمين سواء الذين تتلمذوا عليه مباشرة أو وممن تتلمذ على منهجه وأفكاره، ونفس هذا المنهج والتأثير الذي قام به توماس الأكويني في أوروبا خلال القرن الثالث عشر ميلادي ممهدا لعصر النهضة الاوروبية ودون أن ينسب الفضل الى ابن سينا الذي تتلمذت أوروبا على منهجه وكتبه لقرون.

2. النظرة الشمولية للإنسان بكل مكوناته: إن إلمام ابن سينا بعدة علوم على تنوعها بالمصطلح الحديث بين علوم إنسانية وعلوم تطبيقية رسمت له صورة التكامل المعرفي ما أهله للإبداع في تلك العلوم في حد ذاتها. وانعكس ذلك على نظرته إلى الإنسان، فالإنسان عند ابن سينا جسد ورح تتناغم فيه ماهيتان بدور تكاملي، فإذا حدث نقص او خلل في إحدى مكوناته اختل التوازن وظهرت العلل وقصور الأداء في الوظائف الحياتية، إضافة إلى تأثر هذه المكونات بالمحيط؛

[11] محمود عبد اللطيف، الفكر التربوي عند ابن سينا، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب . وزرة الثقافة .، دمشق، 2009، ص40.

سواء أكان المحيط الاجتماعي أو المحيط البيئي، تظهر هذه النظرة الشمولية جليا في علم الطب الذي هو من أخص العلوم المتعلقة بالإنسان، فقد اشتهر ابن سينا في طبه وعلاجاته بهذه النظرة التي أخذها عنه تلامذته، وأثرت على علم الطب في الحضارة الإسلامية، وكذا الحضارة الأوروبية لعدة قرون، حتى جاء لويس باستور في القرن التاسع عشر ميلادي وأعطى مفهوما جديدا لفلسفة المرض القائمة فقط على أن أسباب الامراض هي كائنات حية لا ترى بالعين المجردة، وأن العلاج يكون بصد هذه الكائنات البيولوجية المجهرية، فنحا عندئذ لويس باستور بهذه النظر التفسيرية المادية للأمراض . وهي نظرية تجزيئية لماهية الانسان . بعلم الطب منحا جديدا كانت له آثار سلبية، أُكتشفت بعد ذلك من خلال الممارسات والتجارب السريرية، إذ أُكتشف أن المرض ذو ابعاد نفسية وبيولوجية، ووراثية، وبيئية وغيرها، وهي النظرة التكاملية التي سار عليها ابن سينا، فظهرت الحاجة الى الرجوع إليها لأنها الاصوب، فاصبح هناك أصوات علمية كثيرة تنادي بضرورة الرجوع الى هذا المنهج الشمولي التكاملي السليم سواء في الطب أو في غيره من العلوم.

3. تطبيق مناهج البحث في التطبيقات العلمية واستعمالها فيما يناسب نوع البحث في مختلف العلوم:

إن استعمال مناهج البحث وتطبيقها في بحوث ابن سينا كان بما يناسب العلم أو نوع البحث، فقد استخدم المنهج التجريبي في الطب أثناء بحثه في علل الامراض وصنوف العلاجات والأدوية المناسبة، إذ يقول في منهجه:".. وتعهدت المرضى فانفتح عَليّ من أَبْوَاب المعالجات المقتبسة من التجربة مَا لَا يُوصف" [12].

ويتمثل تطبيق هذا المنهج خير تمثيل في كتابه "القانون في الطب" الذي ظل المرجع الأساس للطب، والعمدة فيه لقرون، ليس في الحضارة الإسلامية فحسب، بل أيضا في أوروبا الى القرن السابع عشر ميلادي، وهو القرن الذي اتسم بالاهتمام بعلم المناهج، على اعتبار أن الخطوة الحاسمة في تكوين المنهج العلمي تمت على يد "فرنسيس بيكون".

ويتبع ابن سينا منهجية تقسيم كتابه إلى أبواب كما هو عليه الكتب الطبية الحديثة، إذا يبدأ بعلم التشريح ثم وظائف الأعضاء، وعلم الامراض ويختمه بالعلاج.

وقد سار ابن سينا في تشخيص المرض ومعالجته على الطريقة المتبعة حديثا، مطبقا المنهج التجريبي والمنهج الوصفي ببراعة، وهي الاستدلال بالبول والبراز والنبض، فأمكنه التوصل بذلك إلى وصفِ وتشخيصِ كثير من الأمراض، فكان أولَ من وصف الالتهاب السحائي، وأول من فرق بين الشلل الناتج عن سبب داخلي في الدماغ والناتج عن سبب خارجي، ووصف السكتة الدماغية الناتجة عن كثرة الدم (الجلطة)، فخالف بذلك الوصف اليوناني السائد آنذاك .

كما اعتمد في ممارسته الطبية على التجربة واستفاد من تجارب السابقين، فهو أول من قال بالعدوى وأن الامراض تنتقل عن طريق الماء والتراب، خاصة عدوى السل الرئوي، كما عرف كثيرا من الأمراض التي كانت منتشرة في زمنه مثل شلل

[12] ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: الدكتور نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، ص438.

الوجه، وداء الجنب، ومرض الأنكلستوما، ومرض السل الرئوي، وكثير ا من الأمراض الجلدية والتناسلية التي لم يعرفها القدماء بدقة بالغة كما شخّصها ابن سينا [13].

وقد استغل وجاهته عند الحكام بما ينفع الناس فاقترح تطبيق المنطق على اختبار العقاقير وتم السماح له بتجربة أفكاره في التجارب السريرية. فدفع بذلك بعلم الطب الى مراحل متقدمة جدا لم يبلغها من قبل، وأبدع فيما وقف عنده غيره ممن سبقه. فقد مارس الطب التجريبي وطبقه على مرضاه، كما كان يجرب أي دواء جديد يتعرف عليه على الحيوان أولا، ثم يعطيه للإنسان بعد أن تثبت له صلاحيته ودقته على الشفاء.

كما تحدث عن تلوث البيئة وأثره على صحة الإنسان فقال: "فما دام الهواء ملائما ونقيا وليس به أخلاط من المواد الأخرى بما يتعارض مع مزاج التنفس، فإن الصحة تأتي". وذكر أثر ملوثات البيئة في ظهور أمراض حساسية الجهاز التنفسي [14].

واستعماله لهذا المنهج واضح في الموسيقى أيضا.... كما استعمل المنهج الوصفي في علم الفلك، والتشريح وقد كتب في تشريح جسم الانسان بدقة متناهية مازالت معتمدة وتدرس الى حد الان. كما لا يخفى استعماله المنهج العقلي التأملي في الفلسفة والرياضيات.

أثر ابن سينا في العلوم

من الحظ أن ابن سينا كتب جميع نظرياته وآرائه العلمية والفلسفية، ودوَّنها موزعة في كتبه، وما ضاع منها قليل جدا، وقد كتب جميع مؤلفاته باللغة العربية الفصحى التي هي لغة العلم في ذلك العصر، وكتب أشياء بالفارسية وهي لغته الاصلية، وقد شملت مؤلفاته جميع علوم عصره: المنطق، الفيزياء، اللغة والشعر، الفلك والرياضيات، الطب، علم النفس والتربية والسياسة، الموسيقى، الاخلاق والاقتصاد، الكيمياء، وفي فلسفة ما وراء الطبيعة (الالهيات). زد على ذلك مؤلفاته المتميزة حول الصوفية والعلوم الروحانية، كما قام بتفسير عدة سور من القران الكريم، وكتب في اسرار الصلاة. الى مؤلفات فاقت المئتين، بين مدونات كبرى ورسائل صغيرة ومراسلات.

إن هذا الكم الهائل من المؤلفات في شتى العلوم ناتج عن إحاطة ابن سينا بكل تلك المعارف، ما ساعده على وفرة الإنتاج ودقة، وبنظريات وأراء جديدة لم يُسبق إليها، وإن المطَّلع على مؤلفات ابن سينا لا يجد فيها السآمة والملل بسبب التكرار أو إعادة قديم، بل يجد شيئا جديدا من نظريات وحل إشكالات وتوضيح غامض، وتصويب خطأ، وتوجيه أراء من سبقه، سواء من الفلاسفة أو الأطباء أو الفلكيين أو الرياضيين.. وفي كل العلوم على حد سواء.

إن هذا الإنتاج الضخم لم يأت من فراغ، فقد سبقه الإحاطة بكل العلوم، إضافة الى الملكة والذكاء الحاد، ومع الجهد الشخصي الذي كان يقوم به ابن سينا منذ نعومة أظافره في تحصيل العلوم، فما عُرف عن ابن سينا من الدأب والصبر

[13] بركات محمد مراد: ابن سينا الفيلسوف التجريبي والمحلل النفسي الإكلينيكي، مجلة حراء، العدد الثامن، سبتمبر 2007، إسطنبول . تركيا، ص30، بتصرف.

[14] أحمد فريد المزيدي، مقدمة تحقيق كتاب: منطق المشرقيين لابن سينا، الطبعة الأولى، دار الحداثة، بيروت، 1982، ص8.

يفوق كل تصور، فهو لا يعرف الملل أو التعب أو الضجر، وبذا يقول عن نفسه حين توفر على العلم:" وَفِي هَذِهِ الْمدَّة مَا نمت لَيْلَة وَاحِدَة بِطُولِهَا وَلَا اشتغلت النَّهَار بِغَيْرِهِ وجمعت بَين يَدي ظهورا فَكل حجَّة كنت أنظر فِيهَا أثبت مُقَدمَات قياسية ورتبتها فِي تِلْكَ الظُّهُور، ثمَّ نظرت فِيمَا عساها تنْتج وراعيت شُرُوط مقدماته حَتَّى تحقق لي حَقِيقَة الْحق فِي تِلْكَ الْمَسْأَلَة، وَكلما كنت أتحير فِي مَسْأَلَة وَلم أكن أظفر بِالْحَدِّ الْأَوْسَط فِي قِيَاس ترددت إِلَى الْجَامِع وَصليت وابتهلت إِلَى مبدع الْكل حَتَّى فتح لي المنغلق وتيسر المتعسر، وَكنت أرجع بِاللَّيْلِ إِلَى دَاري وَاضع السراج بَين يَدي واشتغل بِالْقِرَاءَةِ وَالْكِتَابَة، فمهما غلبني النّوم أَو شَعرت بِضعْف عدلت إِلَى شرب قدح من الشَّرَاب ريثما تعود إِلَيّ قوتي ثمَّ أرجع إِلَى الْقِرَاءَة، وَمهما أَخَذَنِي أدنى نوم أحلم بِتِلْكَ الْمسَائِل بِأَعْيَانِهَا حَتَّى أَن كثيرا من الْمسَائِل اتَّضَح لي وجوهها فِي الْمَنَام، وَكَذَلِكَ حَتَّى استحكم معي جَمِيع الْعُلُوم ووقفت عَلَيْهَا بِحَسب الْإِمْكَان الإنساني " .[15]

بذلك بلغ ابن سينا مكانة علمية رفيعة يشهد له بها الشرق والغرب وعبر كل العصور، هذه المكانة التي بلغها ابن سينا بمؤلفاته وكتبه ونظرياته وآرائه وأفكاره.

وقد شجعت أفكار ابن سينا الراديكالية البحث العلمي في جميع أنحاء المجتمع المسلم، والذي انتشر إلى أجزاء أخرى من العالم .ما زالت مساهماته قائمة حتى اليوم، حيث أن الاكتشافات الأخيرة في هذه المجالات لم تكن لتتحقق أبداً، لو لم يقم ابن سينا بالعمل الأصلي الضروري.

وعلى الرغم من آراء ابن سينا غير التقليدية والجريئة في نفس الوقت، فإن تأثيره في مجال الطب والفلسفة والعلوم لا يمكن التنازع عليه، وظلت كتبه مصدرا للدراسة لمدة خمسة قرون في أوروبا، بل وأطول في العالم الإسلامي..

ولقد كان الأطباء يتمتعون بمكانة مرموقة في المجتمع الإسلامي في عصره، حيث أنها نبعت من التعاليم الإسلامية أن المرض كان جزءًا طبيعيًا من الحياة، وتطهيرًا روحانيًا للمرضى، حيث تم تبجيل المعالجين على أنهم قادرون على تسريع التعافي .وهذا يتناقض مع الأفكار المسيحية السائدة في أوروبا بأن المرض كان شكلاً من أشكال الانتقام بسبب مخالفات تركت المرضى مهملين .

في العالم الإسلامي، كانت هناك عيادات متنقلة تقدم مساعدات للمحرومين في المناطق الريفية . في هذا المناخ كان ابن سينا حرًا في استكشاف أفكاره من خلال التجارب، فقد اقترح تطبيق المنطق على اختبار العقاقير وتم السماح له بتجربة أفكاره في التجارب السريرية.

ساهم ابن سينا في تقدم جميع العلوم في وقته. منها في مجال علم النفس، فقد تكلم ابن سينا في كتابه الشهير "الشفاء" عن العقل، ووجوده، علاقة العقل بالجسم، والإحساس، والإدراك وقسمه الى خمسة مستويات يتم بها الادراك والتي منها الغريزة التي تميز بين الخير والشر، كما ذهب إلى أنه يمكن للروح القوية أن تخلق ظروفاً في شخص آخر أيضاً، استناداً إلى هذه الظاهرة، فهو يقبل حقيقة التنويم المغناطيسي.

[15] ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: الدكتور نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، ص438.

واستكشف ابن سينا منطقة قلق الموت ولاحظ أن هذا خوفًا عالميًا. ذكر ابن سينا أن هناك ثلاثة أنواع معرفية من أسباب القلق من الموت. شمل ذلك الأنواع التالية من التفكير المضطرب: (أ) الجهل فيما يتعلق بالموت، (ب) عدم التأكد مما يتبع بعد الموت، و (ج) الاعتقاد أنه بعد الموت تتوقف الروح عن الوجود. وذكر أن درجة القلق الذي يشعر به المرء مرتبطة ارتباطا مباشرا بمستوى المعرفة المرتبط بفكرة الموت، تتشابه هذه الأفكار مع النظرية السلوكية المعرفية، حيث ينظر إلى الأمراض على أنها عدم فهم للاضطراب الذي يعاني منه المرء والتفكير المضطرب. وبمجرد أن تبدأ عملية إعادة الهيكلة المعرفية، يجب أن يتضاءل الاضطراب، كما يوصي ابن سينا بالتربية الدينية للتخفيف من هذه الأفكار، مما يقلل من تجربة القلق من الموت [16].

إن المبادئ الأولى للعلاج السلوكيّ والمعرفي موجودة في تنبيهات واشارات ابن سينا، إذ يقول في تحليله للسلوك: " إذا كان تناول الطعام مقترنًا باللذة، والضرب مقترنًا بالألم، فإن الحيوان والإنسان يحتفظان في ذاكرتيهما بصورة الطعام مقترنة باللذة، وبصورة العصا مقترنةً بالألم، فتصبح رؤية الطعام فيما بعد مثيرة للشعور باللذة، ورؤية العصا مثيرة للشعور بالألم" ، وهذه هي الاستجابة الشرطيّة التي قال بها الروسي إيفان بافلوف (1849 – 1936) بعد عشرة قرون من ابن سينا، والتي تُدرَّس منسوبة إلى بافلوف على أنه مبدعها الأول [17].

ويشير ابن سينا إلى أهميّة التداوي باستخدام العقاقير، وهو ما يعتمد عليه كثيرًا اليوم في علاج اضطراب الوسواس القهري، ويصف ابن سينا بعض التركيبات الدوائيّة والأعشاب وغيرها كوصفة علاجيّة لمرض الوسواس القهري [18].

وتكلم ابن سينا كثيرا وبإسهاب خاصة في كتابيه "القانون"، و"الشفاء"، في مشكلة العقل والجسم. وذهب إلى أن العقل البشري يشبه المرآة ولديه القدرة على عكس المعرفة لأنه يستخدم الذكاء النشط (أي التفكير). وكلما زاد تفكيرنا، أصبحت مرآة أكثر وضوحًا ومصقولة، توجّه نفسها نحو اكتساب المعرفة الحقيقية. علاوة على ذلك، فإن العقل يتحكم في الجسم وهناك علاقة هرمية مباشرة بين الاثنين، فعندما يريد العقل تحريك الجسم، فإنه يطيع. المستوى الثاني من السيطرة على العقل على الجسم هو من خلال التأثير على العواطف والإرادة. يمكن أن تؤدي العواطف القوية إلى نبوءات تتحقق ذاتيا، إذا اعتقد المرء أن المرء سيفشل، فإن احتمال الفشل سيزداد. يمكن أن يسبب هذا أيضًا اضطرابًا في الصحة، حيث يمكن للعقل أن يؤثر على الصحة ويؤثر على الوظائف الخضرية، هذا يشبه إلى حد كبير الأدلة العلمية الحالية على تأثير الإجهاد على جهاز المناعة، مما يؤدي إلى زيادة محتملة في الأمراض الجسدية.

---

[16] انظر: ابن سينا، رسالة في النفس بعد الموت، مخطوط رقم:34347، مركز الملك فيصل(خزانة التراث)، المملكة السعودية.

[17] وائل أبوهندي: الوسواس القهري من منظور عربي إسلامي، عالم المعرفة، الكويت، 2003م، ص166.

[18] انظر: ابن سينا، القانون في الطب، تحقيق:محمد أمين الضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت.الطبعة الأولى،1420ه - 1999م، ج3، ص520.

تحدث ابن سينا عن الاضطرابات النفسية واعتقد أن الكآبة هي اضطراب يشك فيه المرء ويختلط عادة مع أنواع معينة من الرهاب. وقال إن الغضب نجم عن انتقال أحدهم من السوداوية إلى الهوس. كان يعتقد أن السبب في ذلك هو وفرة الرطوبة في الرأس. ينتج عن التنفس حدوث رطوبة في الرأس، ولكن إذا كان هناك رطوبة أكثر من اللازم في الرأس، فقد تتطور إلى اضطراب عقلي [19].

إن الشيء المهم الذي يجب أخذه في الاعتبار هنا هو أن ابن سينا كان يفكر في أن أسباب الأمراض العقلية قد نشأت في الرأس، هذه النظرية وغيرها كانت توجه الفكر الغربي نحو علم النفس الحديث. في الواقع.

والجدير الملاحظة: رغم تأثير ابن سينا على العلوم وعلم النفس في الغرب بالتأكيد ذا قيمة، ولكن نادراً ما كان اسمه مدرجاً في كتب التاريخ. تجسيد القدرة على التوفيق بين الدين والتجريبية والعقلانية. هذا التأثير والمهمة الهائلة تم تناولها في وقت لاحق من قبل سانت توماس الأكويني لفعل الشيء نفسه في أوروبا في وقت لاحق مما أدى إلى عصر النهضة والفكر الثقافي في أوروبا. لا يزال كتاب "القانون في الطب" موضوع بحث في العديد من البلدان أدى إلى العديد من التحقيقات في أفكاره التي توجه بعض التجارب، إن المهمة الصعبة المتمثلة في سد كل من التطورات الفكرية المبكرة للغرب والشرق من قبل ابن سينا ، على الرغم من غياب الموارد التكنولوجية أمر لا يصدق، مما يمنحه تعليما ومنظرا جيدا. وهذا أمر مثير للإعجاب وهو ضروري للغاية في سياق اليوم، بالنظر إلى جميع القنوات المناسبة للقيام بذلك في عالم معولم وتنوعه المتنامي في التفكير.

تلامذته ومن اخذ عنه واتصفوا بالتكامل المعرفي

وقد أفاد ابن سينا بصلاته الشخصية كما أفاد بالتأليف والتصنيف، فاتصل به البيروني الذي قال فيه الأستاذ "ساخاو" الألماني: إنه أكبر عقل ظهر في تاريخ بني الإنسان، وكان يسأله سؤال المستفيد — وإن تنكر له فيما بعد — وهو أكبر منه سنًّا وله ذلك الشأن الذي تدل عليه تلك الشهادة من المتأخرين. واتصل به أبو سعيد بن أبي الخير أمام المتصوفة في زمانه وسأله كذلك سؤال المستفيد قبل أن تقع بينهما الجفوة لاختلاف النزعة والمزاج، ولقيه ابن مسكويه الفيلسوف الأخلاقي المشهور، وتتلمذ له أبو عبيد الجوزجاني وأبو القاسم الكرماني وأبو عبد الله المعصومي وأبو الحسن بن طاهر بن زيلة وبهمنيار بن المرزبان، وعده عمر الخيام من أساتذته وهو من أبناء الجيل اللاحق بجيله ... وكلهم من أصحاب النظر في الحكمة والطبيعيات والرياضيات، وبقي منهم من بقي على ولائه ولكنه ابتلي في أكثرهم كما يبتلى كل متفوق مناضل محسود. من كتاب ابن سينا للعقاد

الخاتمة

ان التكامل المعرفي في الذات العالمة ضروري من أجل الابداع والبعث الحضاري المنشود في أي زمن من الأزمنة، والضرورة ملحة للرجوع الى المنهج الذي سارت عليه الحضارة الإسلامية في تكاملها المعرفي.

[19] انظر ابين سينا: القانون في الطب، تحقيق: محمد أمين الضناوي ج2، ص103 وما بعدها.

ان الدراسات المعاصرة في مناهج العلوم وسبل التجديد والابداع فيها، أثبتت أن التجديدي في علم من العلوم، أكثر ما يكون عند تلاقح حقائق هذا العلم بحقائق العلوم الأخرى التي لها صلة بموضوع هذا العلم. فقد صدر عام 1991م كتاب يعنوان"الابداع والابتكار في العلوم الإنسانية: الهامشية الخلاقة" innovation dans les sciences sociales :marginalite creatice، وخلاصة ما جاء فيه أن ظاهرة الابتكار والابداع والتجديد في التنظير والمنهجية في العلوم الاجتماعية كثيرا ما تبرز عند اولائك الذين تجاوزا حدود تخصصاتهم الاصلية واحتكوا بتخصصات أخرى هامشي" أي" أن خروج عالم الاجتماع أو الاقتصاد أو النفس عن مجال تخصصه شيئا ما واحتكاكه عند الهامش أو التخوم بتخصصات أخرى مجاورة، يرشحه أكثر من غيره للمساهمة الإبداعية الابتكارية في علوم الانسان والمجتمع... فتجاوز العلماء لحدود تخصصاتهم الضيقة من شأنه أن يؤدي الى ولوج ميادين أخرى، والتلاقح المعرفي بينهما، الامر الذي ييسر عملية الابداع" [20]

التوصيات

. صياغة خطط وبرامج علمية تربوية ابتداء من المراحل الأولى للتعليم الى المستوى الجامعي من اجل تكوين الفرد تكوينا يتحقق فيه التكامل للمعرفي وتطوير المهارات.

. ابعاد الدراسات المتخصصة (بالمفهوم الحديث) من المراحل الأولى من التعليم التي تسبق التعليم العالي.

. تشجيع الدراسات والبحوث اللاصفية من أجل ابراز وتطوير المواهب الفردية، وترك المتعلم يشبع نهمه المعرفي بما يختاره، لأنه الوحيد الذي يعرف حدود استطاعته ومدى مهاراته، فيصبح المنهاج التربوي أو المعلم مؤطرا ومرشدا يختصر له الوقت ويغنيه عن كثير من التجارب.

. إيجاد البيئة المناسبة التي تشجع على العلم والبحث والاكتشاف، ذلك لأن النبوغ وظهور العباقرة يكون أكثر في البيئة المناسبة التي تشجع على ذلك فضلا عن البيئات الصعبة كأزمنة الحروب والفقر وانتشار الظلم والجهل، إن "بعض العباقرة ينبغون في وطن من الأوطان أو في عصر من العصور، فيستغرب نبوغهم فيه. أما ابن سينا فلا يستغرب نبوغه في عصره ولا في وطنه ولا في بيته، بل الغريب أن يكون العصر والموطن والبيت على تلك الحالة ثم لا يظهر فيه نابغ فيلسوف" [21].

المراجع

ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: الدكتور نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت.

ابن رشد أبو الوليد، فصل المقال، دار المعارف، الطبعة: الثانية.

ابن سينا، القانون في الطب، تحقيق:محمد أمين الضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت.الطبعة الأولى،1420هـ . 1999م.

ابن سينا، رسالة في النفس بعد الموت، مخطوط رقم:34347، مركز الملك فيصل(خزانة التراث)، المملكة السعودية.

[20] معالم التكامل المعرفي عند المحدثين، عبد الكريم عكيوي، مجلة الواضحة، عدد6، المغرب، ص194.

[21] عباس محمود العقاد، ابن سينا، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، دون رقم او سنة طبعة، ص10.

أحمد فريد المزيدي، مقدمة تحقيق كتاب: منطق المشرقيين لابن سينا، الطبعة الأولى، دار الحداثة، بيروت، 1982.

أشغال الملتقى الدولي حول ": التكامل المعرفي ودوره في تمكين التعليم الجامعي من الإسهام في جهود النهوض الحضاري في العالم الإسلامي"، يومي 14-15 أبريل 2010، كلية الطب بتلمسان . الجزائر.

بركات محمد مراد: ابن سينا الفيلسوف التجريبي والمحلل النفسي الإكلينيكي، مجلة حراء، العدد الثامن، سبتمبر 2007، إسطنبول . تركيا.

شمس الدين الذهبي: سير أعلام النبلاء، تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، 1405 هـ / 1985 م.

عباس محمود العقاد، ابن سينا، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، دون رقم او سنة طبعة.

عبد الكريم عكيوي، معالم التكامل المعرفي عند المحدثين، مجلة الواضحة، عدد6، المغرب.

عواد الخلف، وقاسم علي سعي، الجامعون بين العلوم الشرعية والعلوم التجريبية، المجلس الوطني للإعلام، دولة الامارات، الطبعة الأولى، 1436هـ 2010م.

فتحي حسن ملكاوي، منهجية التكامل المعرفي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، و.م.أ، الطبعة الثانية 1437 هـ/ 2016م، ص291.

محمود عبد اللطيف، الفكر التربوي عند ابن سينا، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب . وزرة الثقافة .، دمشق، 2009، ص35.

وائل أبو هندي: الوسواس القهري من منظور عربي إسلامي، عالم المعرفة، الكويت، 2003م، ص166.